كنوز الحكمة

مزمور 1:89 – 17:90

- **الدرس الستمئة والحادي والثلاثون**

كما ترى فإن تأملاتنا في سفر المزامير على قدمٍ وساق وسننتهي منها قريباً إن شاء الله. تأملنا سابقاً في مجموعة مزامير من 85-88 وكانت تحتوي على أفكار ثمينة لنا. من جملة ما قلناه إننا نحتاج الى الانتعاش اليوم في كنائسنا، والى الفرح الغامر الذي ينتج عن الانتعاش والذي يحتاجه كل مؤمن. وهذا الانتعاش يأتي من إلــه الرحمة والخلاص. أرنا يا رب رحمتك وأعطنا خلاصك فيفرحَ بك شعبك. وقلنا إنه على الصليب التقت الرحمة بالحق، كما أن البر والسلام تلاثما. ولكن في يومنا هذا لا تعرف الرحمة طريق الحق ولا يدري السلام أين هو البر. ولن يحل السلام على هذه الأرض الآن لأن البر معدوم. ولا يمكن أن يأتي البر إلا بالمسيح. وهو سيحكم بالبر على الأرض، ذلك البر الذي يتقدم خطاه، وهكذا يسير الرب في طريق البر ويسير شعبه من خلفه. يا لـه من يوم مجيد!

وذكرنا أننا في أشد الحاجة لأن يعلّمَنا الرب طريقه، وأن نسلكَ في حقِّه، نحن بحاجة لأن يوحّد قلوبنا لخوف اسمه، حتى نحيا في قداسة. وهكذا يأخذ منا تسبيحَ قلوبنا الكاملة نحوه، الموحدة والمكرسة لـه. بين كاتبُ المزمور 88 المتألم الذي يتمسك بإلـه خلاصه.

نأتي الى المزمور التاسع والثمانين. هذا هو المزمور الأخير في القسم الثالث من المزامير والذي يقابل سفر اللاويين. يسمى هذا المزمور بـ" مزمور العهد الداودي". كاتب المزمور هو إيثان الأزراحيّ. وهو عبارة عن قصيدة – ماشيل، أي كُتب للتوجيه والإرشاد والفهم. من المرجّح أن إيثان كان مرّنماً من سبط لاوي ولكن ليست لدينا المعلومات الكافية عنه، وأعتقد أن هذا لهدف – إذ أن التركيز هنا هو على أمانة الله المجيدة وليس على الكاتب. تــُذكَر أمانة الله (حق الله) عشر مرات في هذا المزمور مما يوضّح أن الكاتب يريدُ التركيز على أمانة الله. وتــُذكر كلمة " العهد " أربع مرات، ويُرفَقُ معها قول الرب " حلفتُ " ثلاث مرات. كما وتظهر عبارة " لا أكذب " أربع مرات. قد تلاحظ أن هذا المزمور هو عكس المزمور السابق المليء بالحزن والكآبة، إذ أنه مليء بالحمد والحماس؛ فهو يرتكز على عهد الله لداود. عندما درسنا سفر صموئيل الثاني، أمضينا وقتاً كافياً في الفصل السابع الذي يُسجّل عهد الله مع داود. ولأهمية هذا العهد نجده يُذكرُ مراراً وتكراراً في كتابات الأنبياء، وهذا المزمور مكرّسٌ بالكامل للعهد الداودي.

يقول العددُ الأول " بِمَرَاحِمِ الرَّبِّ أُغَنِّي إِلَى الدَّهْرِ. لِدَوْرٍ فَدَوْرٍ أُخْبِرُ عَنْ حَقِّكَ بِفَمِي. " هل الرب صالحٌ تجاهك؟ هذا أمرٌ مؤكد، وهو صالح من نحوي أنا أيضاً، ولأجل هذا " بِمَرَاحِمِ الرَّبِّ أُغَنِّي إِلَى الدَّهْرِ ". وبما أنني لا أستطيع الغناءَ الآن، فسأخبرك أن مراحمَ الرب رائعة جداً. " لِدَوْرٍ فَدَوْرٍ أُخْبِرُ عَنْ حَقِّكَ بِفَمِي." هنا أستطيع أن أُعبّر بفمي عن مدى أمانته تجاهي. نعم، يوماً فيوماً فيوم كنت أميناً معي، يوماً فيوماً فيوم لن تنسني، يوماً فيوم طول الطريق كلَ الحياة، تسير معي وترشدني.

لاحظْ ضمير المخاطب في " حقّك "، فالموضوع هنا عن حقّ الله وأمانته، والتسبيح هنا لله بسبب أمانته تجاه داود. ولكن في عدد 24 نقرأ " أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ "، المتكلم هنا هو الله. ولكن بغضّ النظر عمّن هو المتكلم فالموضوع الرئيسي هو عن أمانة الله. عدد 2 " لأَنِّي قُلْتُ: «إِنَّ الرَّحْمَةَ إِلَى الدَّهْرِ تُبْنَى. السَّمَاوَاتُ تُثْبِتُ فِيهَا حَقَّكَ». " الله أمين. خلاصنا مبنيٌّ على موت المسيح من جهة وعلى أمانة الله من جهةٍ أخرى في تخليص كل من يضع ثقته

فيه. فالمهم هو ما يقولـه الله. هذا يذكرني بقصة سيدة أرسلت ابنها إلى المدرسة وقد صار فيما بعد متشككاً. وذات يوم، بينما كانت تعد طعام الإفطار، كانت تخبره كيف خلّصها الله وكيف تؤمن بهذا الخلاص العظيم. ولكن الابن لم يستطع البقاء ساكتاً فقال: " ليس لنفسك أي قيمة، فهي صغيرةٌ جداً مقارنة بهذا الكون الواسع. يمكن لله أن ينساك دون أن يفتقد وجودك." سكتتُ الأم فترةً وتابعت إعداد الطعام، ثم جلست على المائدة لتأكل وقالت: " يا بني، بعد التفكير وجدتُ أنك قد تكون مصيباً. قد تكون نفسي بلا قيمة، ولكنني إذا خسرتُ نفسي فإن الله سيخسرُ أكثر". تساءل الابن وقال: " وماذا تعنين بهذا؟" أجابت: " إذا خسرتُ نفسي..وأنتَ قلتَ إنها لا تساوي الكثير، فلن أخسرَ الكثير، ولكن الله سيفقد الكثير فهو سيفقد مصداقيته لأنه هو الذي قال إنه سيخلّصني". لقد كانت هذه السيدة مُصيبةً؛ وسيخسر الله مصداقيته إذا لم يُحقق عهده مع داود؛ ولكن الله أمينٌ ولا غبار على أمانته.

عدد 5 " وَالسَّمَاوَاتُ تَحْمَدُ عَجَائِبَكَ يَا رَبُّ، وَحَقَّكَ أَيْضًا فِي جَمَاعَةِ الْقِدِّيسِينَ." وقد قال المرنم في مزمور سابق: " اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ " (مزمور 19 : 1). ولكن لأمانته مجدٌ أعظم من هذا. " يَا رَبُّ، وَحَقَّكَ أَيْضًا فِي جَمَاعَةِ الْقِدِّيسِينَ". فأمانته تجاهنا تستحق تسبيحنا. عدد 8 " يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ، مَنْ مِثْلُكَ ؟ قَوِيٌّ، رَبٌّ، وَحَقُّكَ مِنْ حَوْلِكَ. " الحديث هنا أيضاً عن أمانة الله وحقّه.

عدد 20 " وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ." يقول الله إنه سيتمم ما وعد به داود يومَ مسحه ملكاً. عدد 24 " أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ، وَبِاسْمِي يَنْتَصِبُ قَرْنُهُ." " القرن " يتحدث هنا عن القوة. عدد 27 " أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. " لقد كان عهد الله مع داود أنه سيرسل من نسله ملكاً. ومحور هذا العهد هو الرب يسوع المسيح، وعنه يقول الله: " أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. " يا لـه من أمرٍ رائع! عندما أرسل اللهُ الربَّ يسوع المسيح إلى هذا العالم، جاء كابن الله الوحيد متجسداً في بيت لحم. وفي حياته الوضيعة هنا على الأرض رأيناه اللهَ ظاهراً في الجسد. وبعد موته موتاً كفارياً – وهذا سبب مجيئه من السماء – أصبح بكراً في القيامة من الأموات. وهنا يتحدث عن المسيح المُقام ويقول: " أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا " – المسيح المُقام الذي قام من الأموات بعد أن مات على الصليب. هذا ببساطة يعني أن كل الكون هو تحت سلطان تلك اليدين المثقوبتين. ولكننا نُخبَرُ أيضاً أنه " أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ ". وهذا يعني أنه رب الأرباب وملك الملوك! فكاتب المزمور يتحدث الآن عن الرب يسوع، لذلك فهو يقول مرةً أخرى: عدد 28 " إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ. "

الأعداد 29 – 32 لا يمكن تتكلم عن المسيح، بل هي تتحدث عن نسل داود. ماذا سيفعل اللهُ لو تركه أبناء داود؟ " إِنْ تَرَكَ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي، إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ، أَفْتَقِدُ بِعَصًا مَعْصِيَتَهُمْ، وَبِضَرَبَاتٍ إِثْمَهُمْ." قد تستنتج من هذه الأعداد أن الله سيتخلّى عن أولاده إن لم يكونوا أُمناء معه، ولكن هذا ليس صحيحاً. عدد 33 " أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ، وَلاَ أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي." آهٍ، قد تنقص أمانتي كثيراً ولكن إلهي أمين. يا له من تأكيدٍ رائع!!

بعد هذا يقسم الله قَسَماً بخصوص عهده مع داود: عدد 34- 36 " لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ. مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ: نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي." في هذه اللحظة يوجد من يجلس على يمين الله وسيأتي إلى الأرض ليجلس على عرش داود. وهو الرب يسوع المسيح، ابن داود. عدد 37 " مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ». سِلاَهْ." سيأتي ابنٌ لداود ويجلس على عرش هذا الكون. وهذه حقيقة مؤكدة كالقمر في السماء. سيتمم اللهُ عهده مع داود. عدد 49 " أَيْنَ مَرَاحِمُكَ الأُوَلُ يَا رَبُّ، الَّتِي حَلَفْتَ بِهَا لِدَاوُدَ بِأَمَانَتِكَ؟" لهؤلاء الأشخاص الذين ابتعدوا عن الله في هذه الأوقات، تبدو الأمور وكأن الله نسيَ عهدَه. ولكنه لم ينسَه. فالله أمين، وسيأتي ذلك اليوم الذي يجلس فيه ذاك الإنسان على عرش داود.

ننتقل الآن الى المزمور التسعين. مزمور لموسى يصور لنا المزمور مشهداً في البرية خلال تجوال الشعب القديم. قد تذكرُ أنه عند خروج الشعب من العبودية في مصر ذهبوا أولاً إلى جبل سيناء حيث أعطاهم الله الشريعة. ومن ثمَّ توجّهوا لدخول أرض الموعد ولكن بدلاً من ذلك تاهوا في البرية مدة ثماني وثلاثين سنة إلى أن هلك كلُّ ذلك الجيل. رأى موسى الكثيرين من الشعب يموتون – أكثر من مليوني نسمة – وهكذا فإن هذا المزمور هو مزمور الموت.

كتب عنه مارتن لوثر قائلاً: " يُعلّم موسى في هذا المزمور كما علّم شعبه الناموسَ. فهو يكرز عن الموت والخطية والدينونة لكي يكون بمثابة ناقوس الخطر أمام المتكبّرين الذين يجدون الراحة في خطاياهم وليكشفَ أمامهم خطيتهم وشرّهم". نقرأ من هذا المزمور التسعين من الآية الأولى وحتى الثانية عشرة..

1يَا رَبُّ، مَلْجَأً كُنْتَ لَنَا فِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. 2مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ الْجِبَالُ، أَوْ أَبْدَأْتَ الأَرْضَ وَالْمَسْكُونَةَ، مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ أَنْتَ اللهُ. 3تُرْجِعُ الإِنْسَانَ إِلَى الْغُبَارِ وَتَقُولُ: «ارْجِعُوا يَا بَنِي آدَمَ». 4لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمٍ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ. 5جَرَفْتَهُمْ. كَسِنَةٍ يَكُونُونَ. بِالْغَدَاةِ كَعُشْبٍ يَزُولُ. 6بِالْغَدَاةِ يُزْهِرُ فَيَزُولُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يُجَزُّ فَيَيْبَسُ. 7لأَنَّنَا قَدْ فَنِينَا بِسَخَطِكَ وَبِغَضَبِكَ ارْتَعَبْنَا. 8قَدْ جَعَلْتَ آثَامَنَا أَمَامَكَ، خَفِيَّاتِنَا فِي ضَوْءِ وَجْهِكَ. 9لأَنَّ كُلَّ أَيَّامِنَا قَدِ انْقَضَتْ بِرِجْزِكَ. أَفْنَيْنَا سِنِينَا كَقِصَّةٍ. 10أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً، وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ، لأَنَّهَا تُقْرَضُ سَرِيعًا فَنَطِيرُ. 11مَنْ يَعْرِفُ قُوَّةَ غَضَبِكَ؟ وَكَخَوْفِكَ سَخَطُكَ. 12إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هكَذَا عَلِّمْنَا فَنُؤْتَى قَلْبَ حِكْمَةٍ.

مزمور رفيع فعلاً. إن مصطلح " مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ " يـُعدُّ تشبيهاً في اللغة العبرية، ويعني " من نقطة التلاشي إلى نقطة التلاشي". فاللهُ موجودٌ منذ نقطة التلاشي في الماضي وسيكون في نقطة التلاشي في المستقبل. فمنذ الأزل إلى الأبد هو الله. يا لسموّ هذه الفكرة! فالإنسان ما هو إلا أحدُ مخلوقاته. كتب موسى في سفر التكوين: " فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ " (تكوين 1 : 27). ثم في تكوين 2 : 7 كتب موسى، " وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلـهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً." وهذا المزمور ينظر إلى الإنسان ككائن، مخلوق، وليس كحيوان تطوّر. فهو مخلوقٌ فريدٌ لا مثيل لـه. له جسدٌ أُخِذَ من الأرض، جسدٌ سيحيا فيه وبعرق جبينه يأكل إلى أن يأتي اليوم الذي فيه سيعود إلى التراب الذي خلقه الله منه. هذه هي صورة الإنسان.

عدد 3 " تُرْجِعُ الإِنْسَانَ إِلَى الْغُبَارِ وَتَقُولُ: «ارْجِعُوا يَا بَنِي آدَمَ»." يـُرجع الله الإنسان الضعيف إلى التراب فيقول: " ارجع إلى المكان الذي أتيت منه". عدد 4 " لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمٍ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ." على فرض أنّك عشتَ حياةً بطول حياة متوشالح – أي قرابة الألفِ عام – ستكون هذه كهزيع من الليل. ستكون كعصفور يخترق غرفةً " مضيئة "، تاركاً الظلام من نافذةٍ وعائداً إليه من النافذة الأخرى. حتى لو عشتَ ألفَ عامٍ فهي لن تكونَ بالشيء الكثير. الحياةُ قصيرةٌ جداً مقارنةً مع الأبدية. عدد 5 – 6 " جَرَفْتَهُمْ. كَسِنَةٍ يَكُونُونَ. بِالْغَدَاةِ كَعُشْبٍ يَزُولُ. بِالْغَدَاةِ يُزْهِرُ فَيَزُولُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يُجَزُّ فَيَيْبَسُ." هذه صورةٌ للإنسان. رأى موسى في البرية موت أكثر من مليون شخص. لربما كان هو أكثر شخصٍ حضر خدمات جنائزية في حياته. لقد أُخِذَ جسد الإنسان من الأرض، ورأى موسى هذا الجسد يعود إلى الأرض التي منها أُخِذ.

هذا يقودني إلى موضوع آخر. لقد سُئلنا مراراً عن عملية حرقِ جثث الموتى. أنا شخصياً لا أؤمن بهذه العملية. لا أقصد بأن الله غير قادر على إقامة الجسد إن حُرِق، ولكن هذه العملية ليست بالشهادة الحسنة للمؤمنين. الكثيرون من غير المؤمنين يودّون بأن تُحرقَ أجسادهم بعد موتهم ويُلقى رمادها في البحر. ولكن ما هو دافع هؤلاء الأشخاص للقيام بمثل هذه العملية؟ الكثيرون منهم لا يريدون لأجسادهم أن تُقامَ؛ فهم يعتقدون أن الله ليس قادراً أن يُعيد تجميع أجسادهم

مرةً أخرى. صديقي المؤمن، أنتَ تُعطي شهادةً حية عن القيامة عندما تدفن شخصاً عزيزاً عليك في المسيح. قال الرب يسوع في يوحنا 12 : 24، " اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ." هذه صورةٌ عن موت الرب يسوع وقيامته. فعندما تدفنُ عزيزاً، أنت تغرسُ جسداً وتتوقع قيامته يوماً ما. أنت لا تحرقُ بذارك! عندما تَدفنُ جسداً أنت تزرع بذرةً. وشهادتك هي أنك تؤمن بأن الله سيعملُ ما تكلّم به عندما وعد بالقيامة، وأنك تنتظرُ اليوم الذي ستلاقي فيه ذلك العزيز مرةً أخرى.

عدد 8 " قَدْ جَعَلْتَ آثامَنَا أَمَامَكَ، خَفِيَّاتِنَا فِي ضَوْءِ وَجْهِكَ. " قال أحدهم إن الخطية المستترة على الأرض هي فضيحة علنية في السماء. الملائكة تراقبك، وهي ترى ماذا أنت فاعلٌ هنا. عدد 9 " لأَنَّ كُلَّ أَيَّامِنَا قَدِ انْقَضَتْ بِرِجْزِكَ. أَفْنَيْنَا سِنِينَا كَقِصَّةٍ." في اللغة العبرية هذا العدد هو أيضاً تشبيه، وينص: " أمضينا سنينا تأوّهاً". نحن نعيش حياتنا في تأوّه. إن لم تعرفَ المُخلّص اليوم وليس لديك رجاءٌ في الأبدية فليس لديك ما تحيا لأجله، ليس لديك هدفٌ ولا اتّجاه. عدد 10 " أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً، وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ، لأَنَّهَا تُقْرَضُ سَرِيعًا فَنَطِيرُ." إن وصلتَ الثمانين من عمركَ، فلا بُدّ وأن تصاب بالكثير من الأمراض. يا لها من صورةٍ واقعيّة! فمعظم هذه السنين هي تعبٌ وشقاء. نحن ننتظرُ ذلك اليوم الذي فيه سنجد الراحة، ولكننا نكتشف أن ذلك اليوم ما هو إلا حلمٌ نسعى إليه. إنه لأمرٌ جيدٌ أن يكون للإنسان مستقبلٌ مُشرقٌ وهذا ما نحصل عليه عندما نؤمن في المسيح. عدد 12 " إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هكَذَا عَلِّمْنَا فَنُؤْتَى قَلْبَ حِكْمَةٍ." لقد صار لنا المسيح حكمةً. " وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً " (1كورونثوس 1 : 30). إنْ عرفتَ المسيح، لك الحكمة والرجاء.

عدد 17 " وَلْتَكُنْ نِعْمَةُ الرَّبِّ إِلهِنَا عَلَيْنَا، وَعَمَلَ أَيْدِينَا ثَبِّتْ عَلَيْنَا، وَعَمَلَ أَيْدِينَا ثَبِّتْهُ." يا لـه من أمرٍ رائع أن تفعلَ شيئاً في الحياة لـه قيمة في الأبدية! لقد وجَدَ موسى – وهو تائهٌ في البرية يدفن الموتى يوماً بعد يوم – وجد منظوراً مختلفاً للحياة لم يجده الكثيرون منا اليوم، فهل وجدته أنت أيضاً؟